

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الإدارة العثمانية في مدينة عنابة ومنطقتها من خلال الوثائق الأرشيفية1757-1796

The Ottoman administration in the city of Annaba and its region through archival documents 1757-1796

يوسفي صرهودة

Yousfi sarhouda

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

مخبر البحث تاريخ ، تراث و مجتمع ،

yousfisarhouda@gmail.com

الارسال: 24/08/08 القبول :24/12/06 النشر:24/12/11 المرسل: يوسفي صرهودة

الملخص:

في هذه الورقة البحثية نركز على دراسة الإدارة في مدينة بونة(عنابة) من خلال الوثائق الأرشيفية التي كتبت في أغلبها لأغراض إدارية تنظيمية، والتي في مجملها رسائل وجهت لعناصر الإدارة العثمانية في بونة ومنطقتها، آغا النوبة، المركانتي(الممثل التجاري للباي)، قايد عنابة وشيوخ القبائل، وأهم ما تحتويه هذه الوثائق مصاريف النوبة، صفقات المركانتي الذي كان في موقع وسط بين الباي وميناء بونة أي بين داخل البايليك وما هو قادم من البحر، إلى جانب قائد عنابة المسؤول عن المدينة وتنظيمها وتكريس سلطة الباي، كما تمتع هؤلاء الموظفين بالامتيازات أهمها الحصول على ضريبة المخطاف ومبالغ من الشركة الفرنسية لضمان حماية مصالحها في المنطقة إلى جانب الحصول على العمولة.

الكلمات الدالة : آغا النوبة، قايد عنابة، المركانتي،شيخ المعزولة، الإدارة العثمانية.

Abstract

In this article, we focus on the study of the administration in the city of Annaba through archival documents written for the most part for administrative and organizational purposes, which are in their entirety letters addressed to elements of the Ottoman administration in Annaba and its region, Agha of Nubia, Mercanti, Qaid Annaba And the sheikhs of the tribes, and the most important content of these documents are Nubian expenditures, Mercanti transactions , who were in a middle position between the bey and the port of Pune, that is to say between the interior of the beylik and what comes from the sea, with the commander of Annaba who is responsible for the city, its organization and the consecration of the authority of the bey, and these employees also benefited from privileges, the most important of which was obtaining the tax bracket and sums from the French company to ensure the protection of its interests in the region, in addition to obtaining a commission.

Keywords. Mercanti. administration. the French company. documents. city of Annaba.

مقدمة:

عملت إدارة بايليك الشرق على وضع موظفين إداريين يمثلون الباي ويسهرون على السير الحسن لنظام البايليك في مدينة عنابة ومنطقتها، خاصة وانها تمثل احدى أهم المدن الاقتصادية، فحجم المبادلات التجارية جعل الباي ينصب ممثل تجاري يعرف بالمركانتي، ولفرض الأمن اعطيت امتيازات لآغا النوبة وقايد عنابة، كما يسكن عنابة عناصر في تلك الفترة عناصر اجنبية يتوجب عليهم توفير الحماية لهم خاصة عند خروجهم من مدينة عنابة إلى القالة، والمناطق القريبة منهما حيث أوكلت مهمة التعامل معهم داخل المدينة وعقد الصفقات التجارية معهم لكل من آغا النوبة، المركانتي وقائد عنابة، أما إذا خرجوا إلى الارياف فشيخ المعزولة هو المكلف بحمايتهم، فالإدارة العثمانية في عنابة تسهر على ضمان الامن والحركة التجارية، والموضوع يطرح مجموعة من الاشكاليات أهمها: ماهي أهم الوظائف الادارية في مدينة عنابة ومنطقتها؟ وماهي أهم المهام الموكلة لهم من قبل الباي؟ وماهي المصالح التي يجب حمايتها؟

1. التعريف بعينة الدراسة:

للإجابة عن الاشكالية اخترنا عينة من الوثائق تشتمل على العلبة 64 من وثائق المحاكم الشرعية: التي أخذنا منها مراسلات مركانتي عنابة بكاتب الباي في قسنطينة مصطفي بن كوجك علي، وبرغم من أنها لا تحتوي على تواريخ إلا أننا من قراءتها يتبين لنا أنها كتبت في الفترة الممتدة من 1780م حتى1796م. وهذه الرسائل تعطينا أهم الصفقات التي عقدها المركانتي. كما أخذنا من مجموعات المكتبة الوطنية بالحامة مجموعة رقم1641: تعطى هذه المجموعة أفكار واضحة عن الإدارة العثمانية في عنابة وتحتوي على أوامر الباي لقائد عنابة. كتبت في الفترة الممتدة من 1757م إلى 1792م. بالإضافة إلى محفوظات الغرفة التجارية التي تتوفر على وثائق أهمها:

Série LIII Article N°1207: تعطى وثائق هذا الملف معلومات عن أهم النشاطات التجارية في سنة 1762 - 1763م، أما عن طبيعة الملف فإنه ينتمي إلى صنف اليوميات التي يكتبها القبطان بأدق تفاصيل ما يحدث كل يوم ويبدأ من أفريل 1762م. إذاً طبيعة الوثائق التي نحن بصدد دراستها رسائل متبادلة بين العناصر الفاعلة في إدارة بايليك الشرق فهي:

1. رسائل موجه من البايات إلى قايد عنابة.
2. رسائل البايات إلى قبطان القالة.
3. رسائل من المركانتي إلى كاتب الباي.

2-العناصر الفاعلة في الإدارة العثمانية في بونة:

شاركت العناصر الإدارية في تسيير المدينة والحفاظ على الأمن فيها وأهم هؤلاء الموظفين:

أولا: آغا النوبة:

استمد إسمه من تناوب الحاميات، لذلك سميت بالنوبة فعرف قائدها بآغا النوبة والجندي المتناوب "نوبجي"، وهو قائد الحامية التركية الموجودة في مدن الإيالة ويختار من قواد الحامة برتبة بلوك باشي ويكون اقدمهم لكي يتولى القياد العامة للحامية[1].

فالإدارة العثمانية في عواصم البايلكات وفي المدن المهمة، إعتمدت على الحاميات العسكرية لتدعيم سلطة البايلك و مراقبة الأقاليم، كذلك دعم لسلطة القياد وتحسبا لأي تمرد قد يحدث، وفي هذا المقام نتناول بالدراسة مكانه آغا النوية في

مدينة عنابة التي وصفها أحمد بن قاسم البوني " هي بلد جمعت بين البر والبحر فهي كحلي في النحر، وبها من العلماء والصلحاء ما لا يحصى ... تلاحظ من بعيد مشرقة فسيحة الفناء ..."[2] أشرف عليها حصن القصبة وهو مقر آغا النوبة بالمدينة ومكان استقرار الحامية العسكرية[3].

في سنة 1535م تم تجديد تحصينات قصبة عنابة على يد القائد الإسباني أندري دوريا واسكن بها الجنوبيين، و بعد تحرير عنابة من الإسبان سنة 1540م على يد حسن آغا وضمها إلى بايلك قسنطينة، أعيد بناء القصبة فقويت الأماكن الجانبية ووسعت ممرات الحراسة وغرف الحرس وخزائن المؤونة وخزانات المياه وفتحت بجدار التحصين نوافذ تبعد الواحدة عن الأخرى بين 15 و 20 متر، و بين هذه النوافذ نجد قاعات لحفظ الأسلحة وتنقسم قصبة عنابة إلى:

1. **قسم شرقي**: يضم المسجد وعمارة يسكنها ضابط الجيش و يرأس القسم قاعات للحرس.
2. **قسم غربي:** ثكنة للمشاة (الانكشارية 2) وهو قلب القصبة ويضم عدة منشآت ومرافق عمومية. رغم هذه التحصينات بقيت مدينة عنابة عرضة للهجومات الأوروبية منها احتلالها من طرف جيش الطوسكانيين سنة 1607م[4]،وفي سياق "الهدايا الملكية" يقدم لنا الكاتب اغارة المتحالفين على بونة كرد فعل انتقامي على اعتداءات مراد رايس المتكررة على السواحل والسفن والتجار الاوربيين[5]، استشهد خلال هذه الحملة الباي محمد فرحات.

يحكم آغا النوبة حامية بونة المكونة من 100 إلى 50 جندي، تماشيا مع الظروف الأمنية للمدينة، وقد حددت التشريعات عدد أفراد حامية بونة في نهاية العهد العثماني (1829م) ب 71 رجلا موزعين على 5 صفرات أما التحصينات المدينة:

1. **برج البلارج(اللقلق)** و يقع على ربوة يزيد علوها عن 50م قرب مسجد أبي مروان و يسمى أيضا طبالة القصبة لأنه كان تابعا للقضية القديمة.
2. **طبانة القلعة:** و هو برج تابع البلارج و يمتد إلى باب بحر.
3. **طابة المقابر:** و تقع بالسور الجنوبي و تربط بين بطانة القلعة و بطانة المعدومين بالسور الشمالي وهي محمية بالمدافع.
4. **ثكنة بلعيد (طبانة):** وهي أقدم منشأة عسكرية بعنابة، إذا يعود بناؤها إلى نهاية العهد الحفصي، وهي مقر للانكشارية. و قد اشتهرت عنابة بصناعة البارود إلى جانب بجاية وهران و منين منذ ما قبل العهد العثماني. وللانكشارية في عنابة امتيازات وحقوق مرتبة من اعلى رتبة إلى أقل رتبة نبينها في الجدول الآتي:

جدول رقم (01): حقوق الجنود والضباط نوبة عنابة

الوظيفة	الحقوق	مقدار النقود التي يأخذها
الآغا	وجبة الفطور طوال الشهر	35 ريال بوجة
الكاهية	/	18 ريال بوجة
باش بلكباشي	/	18 ريال بوجة
اليولداش	عوايد العيد	17 ريال بوجة
آغا النوبة	يأخذ حق المخطاف[6]	03 ريال بوجة

كخداسي	/	2 ¼ ريال بوجة
الشاوش	/	1 ¼ ريال بوجة

المصدر: المجموعة 3190 الوثيقة رقم 458 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

من الجدول يبدو أن لأغا النوبة امتياز أخذ ضريبة المخطاف التي تفرض على السفن التي جاءت لممارسة التجارة ففي الوثيقة المؤرخة في ذي الحجة 1244هـ جاءت سفينة ورفضت دفعها بدعوى أنها لم تبيع ولم تشتري مع أحد من الأهالي فاجتمع مجلس ديوان عنابة المتمثل في : الآغا (آغا النوبة) والكخداسي وبلكباشي ، وأودباشي و أرسلوا للداي أنهم بالرغم من رفض السفينة إلا أنهم أصروا على أخذها لأنه وكما جرت العادة القديمة عوائد المخطاف نصيب للدار الكريمة ومقدار لطرف الديوان والقايد تقسيم وتوزيع بينهم أحمد آغا نوبة عنابة ذي الحجة 1244 هـ.

ثانياً: المركانتي[8]:

ترتكز المركانتلية على الحد من تصدير الذهب والفضة وتقلل من المواد التي تخرجها وهذا يتطلب مراقبة شديدة للصادرات وتشجيعا للإنتاج المحلي ليكثر وينخفض سعره كما يتطلب البحث عن أسواق أجنبية لهذه المنتوجات[9]. والمركانتي الموجود في عنابة يعتبر الممثل التجاري للبايليك ومن الشخصيات المهمة في البايليك.

ومن خلال الوثائق يمكن أن نستخرج مهامه:

1. لما يعين باي جديد يتوجه صوب قسنطينة لتقديم التهاني للباي الجديد ويطلعه على الوضع الاقتصادي بالساحل وأهم المشاكل الموجودة في المنطقة[10].
2. العمل على تطبيق أوامر الباي الخاصة بالأمور الاقتصادية كفرض التسعير التي يسرح بها الباي خاصة أسعار الحبوب ولا يتم شراء الحبوب من المنتجين إلا بعد أن يرسل الباي السعر.
3. كتابة التقارير حول ما يحدث في مدينة عنابة من معاملات ومبادلات تجارية وأغلب التقارير تسلم إلى كاتب الباي[11].
4. عقد الصفقات باسم الباي مع القناصل الأجانب ومن ذلك الصفقة التي تمت بين القنصل الانجليزي فرانسيسكو و المركانتي الحاج عمار بن أحمد واحتوت الصفقة على 12مائة صاع من قمح الباي[12].
5. الوقوف على عملية كيل الحبوب الخاصة بالبايلك وتسجيلها برفقة خوجه الزرع ووضعنا في المخازن إلى جانب تفقد مخازن الملح.
6. يتسلم المركانتي السلع القادمة باسم الباي إلى الميناء من الموانئ الأوربية، وهذه السلع في الغالب يأتي بها التجار اليهود فيكلف بالتفاوض معهم[13].
7. تسجيل السفن الداخلة ومن اين أتت، والخارجة من الميناء مع التركيز على وجهتها، كما يتسلم منها الرسائل الموجهة إلى الباي[14].

أما عن حقوق المركانتي فتتمثل في حصولة على عمولة عن كل صفقة يعقدها لصالح البايليك، وعادة تكون 03 ريال عن كل صاع[15]،كما يأخذ المركانتي ضريبة المخطاف وهذا ما كتبه "الحاج المكي المركانتي" في مدينة عنابة إلى "ابراهيم وكيل الحرج" أنه يأخذها بقوله:

"...في امن المركانتية الذي ياتون الينا لما في صوت المخطاف نأخذ منهم اعلم سيدي ...لي عليهم ناخذ منهم عن المخطاف و انما ياخذنه الديوان والقايدهم واما أنا فأخذها من الذين يوقفون فقط وأما الغير فلا وأما الديوان والقايد كذلك فذلك عدتهم ... مون المراكب المخطاف يطلبونهم وهذه عادة...."[16]

ثالثاً: القياد:

تعد وظيفة القايد الركيزة الأساسية للإدارة العثمانية في عمق الفضاءات الأهلية، كما تعد في الوقت نفسه إحدى أهم الوظائف اثراء لمتوليها لما تدره من عوائد الجباية والإشراف على أراضي البايليك خصوصا بعد توجه السلطة نحو الدواخل لتعويض ما فقدته خزينة الإيالة من جراء تراجع عوائد القرصنة[17].

ومنصب " قائد عنابة "ذكره جون أندري بيسونال في قوله: "...وقد جرت العادة أن يخرج هذا القايد إلى المعسكر لكي يستقبل الفرق المعسكرة التي تأتي من مدينة الجزائر من أجل تأكيد القيام بواجباته ومن أجل حمل الغرامة، أو الحقوق التي كان عليه استلامها أو دفعها. لقد سقنا أمامنا ألفا عجل ومئة حصان عربي، بالإضافة إلى عربي بائس ...تولى أخاه قيادة القبيلة ولأنه كان هو يرغب في تولي المنصب قدم مبلغ من المال إلى قائد بونة من أجل اغتيال اخيه وتنصيبه وبعد ذلك رأي القايد أن هذا الذي أعطى ألف بسيطة مقابل قتل شقيقه .. لا بد أن يكون لديه الكثير من المال..."[18] ، من خلال ما ذكرنا يمكن القول أن لقايد عنابة مهامه عدة منها:

1. كتابة التقارير إلى وكيل الخرج حول العمليات التجارية التي تتم في ميناء عنابة ومن ذلك نجد: رسالة من قايد عنابة إلى إبراهيم وكيل الخرج يخبره فيها عن إنزال حمولة بعض السفن في الميناء.
2. إجراء إصلاحات على عدد من البنايات والحصون في المدينة.
3. نلاحظ من خلال رسائله إلي وكيل الخرج أنه مارس مهمة نقل الخبر إلى السلطة المركزية الوثيقة رقم 51 من المجموعة 3206 المحفوظة بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية يذكر مصطفي قائد عنابة انه قد بيع بعض السلع القادمة من تونس، كما أكد خبر رحيل القنصل الفرنسي، ويضيف في أخر الرسالة انه قد عمل مع اغا النوبة على تشديد الحراسة في المدينة. عثرنا في وثائق المكتبة الوطنية كذلك علي وثيقة تحمل رقم53 ضمن المجموعة 3205 تذكر الوثيقة أن أحد القياد في عنابة وهو عمر أرسل رسالة إلى الحاج أحمد باي مفادها، أن جندي باع البارود وأن قايد عنابة ليست له القدرة على السيطرة علي الجنود، برغم أن الوثيقة لا تذكر اسم القايد إلا أننا يمكن أن نستنتج أن القايد مصطفي بن عبد الكريم[19] هو المقصود لأنه هو من كان قايد عنابة في تلك الفترة.
4. كانت وظيفة القايد هي الإشراف على القبائل واستخلاص الضرائب، فإن الشركة الفرنسية الموجودة على سواحل الشرق الجزائري تدفع لقائد عنابة ورجال الأتراك مقابل حماية مصالحها مبلغا من المال اختلف من فترة لأخرى . وإذا أخذنا فترة الشركة الملكية الإفريقية، فإننا نجد في البند الثالث من المعاهدة التي أبرمت يوم 15 جوان 1714:«يدفع لقائد عنابة 280 فرنك عن كل سفينة تشحن قمحا و 140 فرنك من كل قارب»[20]

أما عن علاقة القياد بالفرنسين الموجودين بالسواحل الشرقية فالباي هو الذي يضبطها ويكفهم بمهام يؤدونها معهم ومن ذلك ما سجلناه في الجدول الآتي:

جدول رقم (02): مهام القياد في عنابة

المصدر	المكان الذي يشتغل فيه	المهمة
الوثيقة 12	قايد عنابة	عدم إيذاء القنصل الفرنسي
الوثيقة 23	//	تسلم ضمان الشيخ
الوثيقة26	//	تسلم 500 ريال عوائد خالد بن المهوب[21]
الوثيقة 28	//	تسلم مبلغ 2000 ريال ضمان الشيخ عبد الله بن العباس
الوثيقة 29	//	منع الاعتداء على الفرنسيين
الوثيقة 66	//	قتل امرأة بسبب الزنا مع الطبيب الفرنسي
الوثيقة 69	//	أمر بعدم السماح لابن عبد الله بالحرث بالمنطقة

المصدر: المجموعة 1641.المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

من الجدول نلاحظ أن مهام القايد لم تنحصر في جمع المجبي فقط بل تعدت إلى أنه يراقب الرعايا الأوربيين في الباستيون ويشرف قايد عنابة في 1810م على حل قضية بين فرنسا وإنجليز حول أي منهما لها الحق في أحد المراكنة الموجودة بالمدينة. وتثبت وثائق الغرفة التجارية أن للقياد نصيب في كل صفقة تجارية تتم في السواحل الشرقية وتسجلها على أساس **"حقوق القايد Droit du Caid"** التي تتراوح مابين 25 بياستر إلى 50 بياستر عن كل سفينة[22] يبدو من الوثائق أن كل ما تكون السفينة كبيرة يأخذ القايد 50بياستر أما اذا كانت صغيرة يأخذ النصف.

إلى جانب ذلك يذكر ميترو "Maitrot " أن عناصر الإدارة تدفع لهم الشركة الفرنسية في آخر كل شهرين كان مبلغ خمسمائة ريال يدفع بين أيدي قائد مدينة بونة. كما تدفع مبلغ خمسمائة ريال إلى آغا النوبة (قائد الحامية) ولعون الشركة المقيم بعنابة أن ينتقل كيف ما بدا له إلى القالة ويمنحه الأغا الرخصة إلى ذلك[23].

رابعاً: شيخ وطن المعزولة:

يعتبر وطن المعزولة[24] من أهم أوطان بونة حيث تذكر الوثائق أن: **"أصله بالمكلية لأولاد بلقاسم افتكه منهم بالقوة سيدي محمد بن طراد[25] وهذا الوطن به أراضي كثيرة منها عين خياث الدخالة، السعيدانية، الطويرف، أم الأحواض، واد السواني، الفدارث، القناطر، الزوايت والذي يحرث في هذه البلاد متاع اولاد بلقاسم وولاد عطية الذي فكهاله الان سيدي محمد بن طراد المذكور سويلو في عرش وأولاد حريث في عرش واولاد فزارت في عرش وأولاد عمران في أولاد المهوب[26] في عرش اولاد المراسز"**[27]. يقع جزء من أراضي وطن المعزولة خلف الحصن الفرنسي[28] وتكثر بها المستنقعات والغابات.

ويعتبر أشهر شيوخ المعزولة عبد الله بلعباس هو ابن بلعباس بن سيدي طراد بن ناصر الذيابي، وله ابنان الباهي باي بن عبد الله، وعلي باي بن عبد الله وعبد الله بلعباس تولى مشيخة المعزولة لفترة طويلة تزامنت مع حكم الباي أحمد الشريف وصالح باي[29]. يقول ممثل الشركة الفرنسية في القالة : **"ان العلاقة بشيخ المعزول مسألة حياة أو موت بالنسبة لتجارتنا فهو قادر علي القضاء نهائيا علي تجارة الحبوب التي نفوم بها"** وامام هذا النفوذ الذي يتمتع به شيخ المعزول طلبت الشركة من القنصل الفرنسي ان تتدخل لدي الداي فيأمر الباي بأن لا يعين هذا القايد الا بعد استشارتها وبالمقابل تتحمل جميع النفقات التي

يستلزمها التعيين وبالفعل فإنها تحصلت على ذلك ثم تطورت الامور فصارت تتدخل في شؤون المنطقة فلما القي الباي القبض علي الشيخ ابي عبد الله بلعباس سنة 1744م ولم يطلق سراحه الا عندما دفعت الشركة ضريبة قدرها 50000فرنك[30].

3-تقسيم منطقة عنابة إلى أوطان:

النشاط الاقتصادي السائد في منطقة عنابة هو الزراعة إلى جانب تربية المواشي وهذا ما أشار اليه العالم الألماني في رحلته إذ يقول : فقد شاهدنا وكنا في موسم الحصاد أعدادا لا تحصى من أكوام القمح تنتشر في الريف، لقد إعتاد سكان تلك الجهات التي مررنا بها على درس القمح في الحقول التي يزرع فيها [31].

كما مارسوا التجارة بمنتوجاتهم مع الباستيون وهذا ما تثبته الوثائق حيث نجد أن كل من الممثل التجاري للباي والقياد في تلك المنطقة يشتكون من هذه الظاهرة ونسجل من ذلك الشكوي الأتية: **"...بيان ريالات محروسة الجزائر بوطن محروسة بونة وجميع ما تذكرهم ان شاء الله مايات كلهم يتسوقوا للبرج الباستيون بجميع ما يستحق عندهم من كل حين ورزق..."**[32].

وإلى جانب تلك القبائل من الجهة الغربيه نجد قبائل مرداس التي سكنت عنابة وضواحيها، والتي كانت لها مكانة اقتصادية، فهي تقبض لزمة سنوية من الباستيون الفرنسي، كما أنها تلك ثروة حيوانية لابأس بها، وهذا ما سجله يحي آغا بعد أن شن حملة تأديبية ضدها بسبب الخروج عن الطاعة علي حد تعبيره وقدر حجم الغنائم التي استولي عليها ب: 3000 رأس من البقر 4950رأس غنم 87كيادو و فرصات 100ابل[33].

وفي هذا المقام يمكن أن نضيف أولاد لخضر شرقا على الحدود الجزائرية التونسية، إلى أولاد ذياب شرقا من نهد شمالا إلى أولاد علي بوعشة جنوبا، يتمتد امتيازاتهم حتى واد زياد وصنهاجه غرب بونه[35]، وهذه القبائل كان لها تأثير كبير في منطقة الشرق فقد كان لها مجموعة من الالتزامات الاقتصادية والاجتماعية، التي كلفها بها بايليك الشرق مقابل حصولهم على مجموعة من الامتيازات منها التجارة مع الحصن، وحصول شيوخها على العموله من قبل الشركات الفرنسية، بالإضافة إلى استغلال أراضي البايليك.

4-مهام العناصر الإدارية في عنابة:

عملت إدارة بايليك الشرق على توفير الحماية للاجانب المقيمين في مدينة عنابة والقالة، والمناطق القريبة منهما حيث أوكلت مهمة التعامل إقرار الأمن داخل المدينة وحماية الاجانب المقيمن في بونة ومنطقتها لكل من المركانتي وقائد عنابة، أما إذا خرجوا إلى الارياف فشيخ المعزولة هو المكلف بحمايتهم، فمن هوم هؤلاء الموظفين وما طبيعة المهام التي يؤدونها؟

أولاً: تسلم اللزمة[36] من الفرنسين:

يحكمها في منتصف القرن الثامن عشر الشيخ عبد الله الذي يظهر من خلال الوثائق أنه شخصية مهمة في البايليك فهو الذي يستلم اللزمة من قبطان الشركة الفرنسية ومن ذلك ما ورد في الرسالة الآتية: **"...الاسعد السيد احمد باي صاحب ولاية قسنطينة اعزه الله تعالى بمنه امين. إلى قبطان القالة ..اعلامك به ساعة وصول امرنا اليك ، سبق لنا شتوية مرداس وادفعها إلى ابننا الشيخ عبدالله يرسلها لنا كما سبقت لنا صيفيتهم في عنابة ، كذلك سبق الشتوية بحيث لاتمسك غفلة ولاتراخي في ذلك ، ما انت الاخديمنا ..."**[37] وبرغم من أنه يوصف بالشخص القاس بلا ضمير متعطش للسلطة وللثروة، كان يعيش مثل الأمراء محاطا بجماعة من الفرسان و الموسيقين اقتداء بالبايات.

ثانياً: حماية تجارة الفرنسيين والاجانب الموجدين في عنابة ومنطقتها:

يكلف شيخ المعزولة تأثير كبير في المنطقة فهو الذي يحمي تجارة البرج[38] من تعديات قبائل المنطقة الشرقية ومن ذلك ما حدث من عرش العواوش من نهد حيث تشير رسالة صالح باي إلى قبطان القالة أنه: **"قد ورد علينا كتابك وما عرفتنا من امر**

نهد وانهم عملوا معكم قلة الخير وجعلوا معكم فتنة على غير موجب شرعي وسبب الفتنة الذي صارت بينكم و بينهم على اجل عرش عندهم يقول لهم العواوش اخذوا قافلة من بني مازن جابه اليكم للبرج فبعث الى نهد وقلت لهم تردون القافلة والا ما نعطي شي اللزمة، و مع ذلك سابق بينكم وبينهم ذالك و عندكم امر باي تونس و الشرط بينكم وبينهم على ذالك الى اخر ذكرتم لنا علمناه و اننا كتبنا الى ابننا الشيخ عبدالله بالعباس و الشيخ علي باي، انهم يضربوا في نهد ويجبروهم وينصروكم فيهم...."[39]

أما عن الاجانب الموجدين في عنابة ومنطقتها فتشير الوثائق إلى ثلاثة جنسيات هي: **"الفرنسيس"** وتكتب كذلك **"الفرنصيص"** و **"الإنجليز"**[40] و **"الجينوين"**[41]، الذين ترفقهم صفة المراجنه في أغلب الرسائل ومن ذلك **"جنويين المراجنية"**[42]. (يشتغلون في صيد المرجان) كذلك نجد تسميات اخرى تدل على الأجانب[43] منها: **"الرومي ..... وخدامة الرومي"**[44]، وفي حالات كثيرة تذكر مهنة الأجنبي مثل: **"القنصل الانجليزي"**[45]. وفي بعض الوثائق يعبر عن الأجنبي بذكر الديانة: **" النصارى"**[46]

ثالثاً: حل المشاكل والنزاعات بين الفرنسيين و القبائل المحلية:

يتدخل الباي في حل النزاعات بين الحصن والقبائل المحيطة به ومن ذلك نجد أن الباي كلف شيخ المعزولة عبد الله بن العباس للحد من تعديات قبيلة نهد على الحصن، وفي هذا السياق يرسل شيخ المعزول علي باي إلى قيطان القالة أخبره: **" ....نخبرك خبر على ميعاد نهد تبق ولابد اذا كانوا طالبين الصلح وصحت الميعاد ياتوننا نتحدثوا معهم ومن له حق متصل به والسلام..."**[47]

5-موقف ممثلي الشركات الفرنسية من موظفي البايليك:

تمكن موظفي المؤسسات الفرنسية من إعطاء صور عن موظفي البايلك في عنابة فمن الاطلاع على أرشيف الغرفة التجارية نجد أنهم قد كتبوا انطباعات عن الموظفين الذين احتكوا بهم، ومقدار العمولة التي تدفع لهم أما في يومياتهم فهم يتحدثون عن جشعهم مطامعهم وحبهم للعملات المعدنية وفي أحد التقرير المرفوعة إلى فرنسا في مطلع القرن الثامن عشر: **"هذا لابد من التأني والحذر لأنهم ليس لهم عادة في الاخلاص وهو نادر بينهم"**[48]، وفي هذا المقام نستعرض بعض مواقف ممثلي الشركات:

1- الشكاوي المتعدد من قايد المرسى المسؤول عن أخذ الرسوم الجمركية ومن ذلك: "**أشكو من الجمركي الذي يبحث عني كل مرة عند ما نقوم بشحن السفن بالبضائع لإرسالها إلى القالة أو القل لتسديد الرسوم مع أن المادة 6 من المعاهدة**[49]**، المؤسسة معفية من دفع الجمارك سواء عند الدخول أو الخروج في الموانئ التابعة لبونه....وعدني بأنه سيكلم الديوان ...بخصوص الجمارك وقال أنه سيجعل قضية شخصية... "**[50]

2- الخلاف بين الباي وممثل الشركة ينتهي بدفعه أموال وإذا استمر عليه الفرار ونستنتج ذلك من خلال التقرير الذي كتبه قبطان عنابة: "**....ولكن هذا يتطلب أن ادفع ثمن الحرية للتخلص من شخصه، إذا استمر الباي، لا أرى سوى وسيلة هو الحصول على فرقاطة الملك بذريعة الذهاب لتناول العشاء على متنها للخلاص على الرغم من الباي...و أبلغت السيد Villet بكل هذا وقلت له أنني قررت مغادرة الشركة بدون انتظار جواب الباي من القايد. وسأبحر عند وصول اول باخرة تابعة للشركة، لا يوجد هنا أية سفينة فلا نتوقع أي وصول، لو كنت اعلم كل ما حدث لي لكنت أبحرت على Livournais الذي غادر إلى اعياد الميلاد..."**[51]

3- من التقارير المرسلة إلى الغرفة التجارية نصل إلى أنه 1762-1763م وقع خلاف بين الباي وشيخ المعزولة لذلك اللزمة لا تدفع له فأرسل الباي إلى وكيل الشركة في عنابة "**.....فارس ومعه رسالتين من طرف الباي، طلب المسؤول من السيد Villet بتسديد مبلغ500 Piastres للمكان على ساحة القاله وجوبته أنني لا استطيع تسديده الا بأمر من السيد**

Villet، واردت أن أرده على اعقابه مع الرسالتين إلى القالة، ومع أنه قال لي أن الامة في حرب مع المسؤول عبد الله وكان من الضروري أن ابعث بنفسي ارسال بريدا فقط احتراما لرسالة الباي"[52]

4- كما نسجل تعليقهم عن كثرة قطاع الطرق بين عنابة والقالة لذا فأنهم لا يستطيعون التنقل من عنابة إلى القالة برا فيقول: **"وطلبت منه بارسال أناس، لرفقتي لذهاب برا لتفادي الخطر لأن هناك كثير من قطاع الطرق في الغابة من هنا إلى القالة "**[53]

5- تقدم الشركة للحامية التركية في عنابة عن طريق أمين صندوق الشركة 56 بياستر. بالإضافة إلى تقديم قنطارين من البارود، وهذا أيضا ما التزمت به الشركة لدفعه سنويا إلى المعسكر[54].

6- أشارت أغلب تقارير 1763م إلى أنه بالرغم من نقص القمح في هذه السنة إلا أن مصالح الشركة يجب أن تستمر وذلك بتقديم الهدايا لشيوخ القبائل والبارود للقياد: **"علينا اعادة قو افل البواخر لتحميل الصوف من بونة وهذا لا يتنافى مع مصالح الشركة وأنها ارسلت الى ممثلها ببعض القناطير من البارود للقياد وبعض الدزينات من الجوارب و المناديل منها ما هو حرير والاخر من القطن إلى رؤساء القبائل"**[55]

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي خصصنها للإدارة في عنابة والمناطق التابعة لها نصل إلى أن رصيد الوثائق التي بين أيدينا يمكننا من التعرف على الهيكل الإداري الذي يعينه باي قسنطينة في مدينة بونة، يرتكز على أربعة موظفين هم آغا النوبة، المركانتي، القياد وعلى رأسهم قايد عنابة وشيخ المعزولة الذين من خلالهم يفرض الأمن في المدينة كما يراقب تحركات التجار الأجانب وقبائل منطقة بونة والقالة. ويتعرف على طبيعة النشاطات الاقتصادية التي يمارسونها. كما يشاركون في جمع الضرائب.

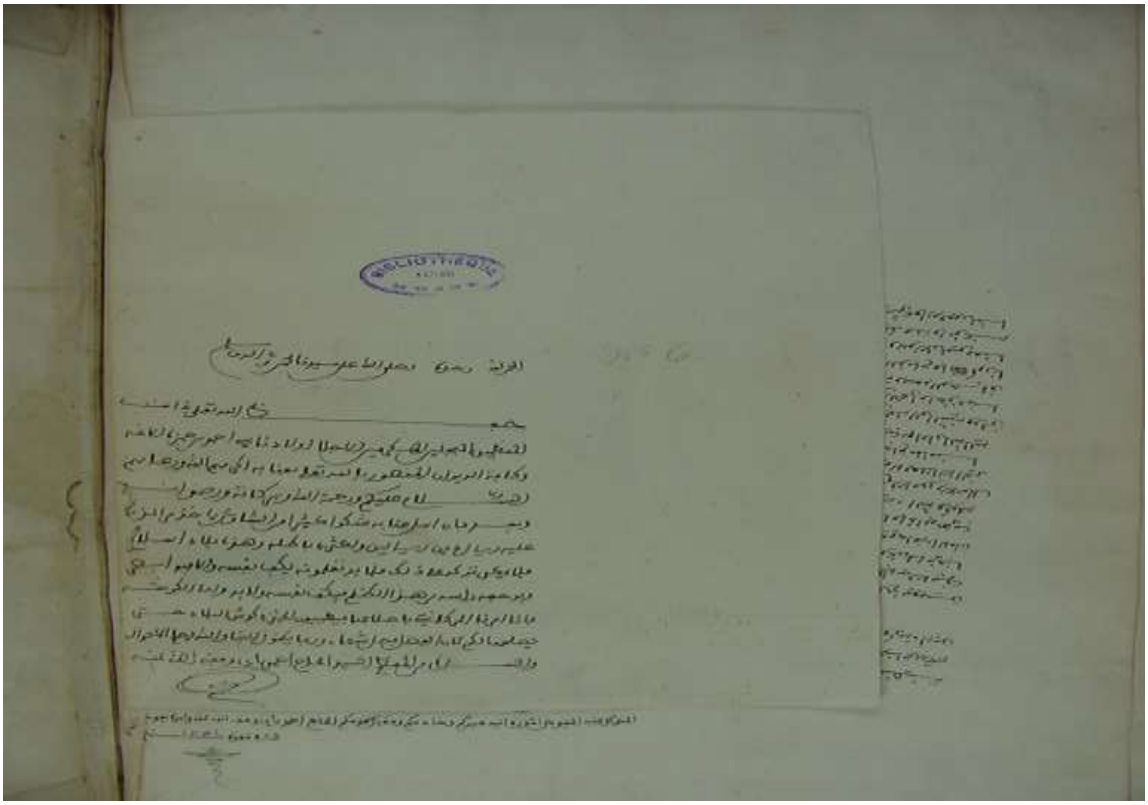
وظيفة المركانتي في موقع وسط بين الباي في عاصمة البايلك وميناء عنابة أي بين داخل البايليك وما هو قادم من البحر، إلى جانب القايد وشيخ المعزولة المسؤول عن الوحدة الإدارية المعروفة بوطن المعزول الذي يحوي إلى جانب العناصر المحلية أجانب أهمهم الفرنسيين، وهم يحملون تكليفا مباشرا من الباي بحمايتهم وعدم التعرض لهم فمهمة حماية الأجانب التي أسندت لعناصر الإدارة -سالفة الذكر-، إذا اتجهوا نحو القبائل القريبة من عنابة والقالة، مكنهم هذا الاحتكاك المباشر من ربط علاقات مع ممثلي الشركات الفرنسية والحصول على صلاحيات وربح أموال، وعقد الصفقات التجارية.

كما تمكن عناصر الإدارة العثمانية في مدينة عنابة من الحصول على مجموعة من الامتيازات أهمها الحصول على ضريبة المخطاف ومبالغ من الشركة الفرنسية لضمان حماية مصالحها في المنطقة .

تمكن موظفي المؤسسات الفرنسية من إعطاء صور عن عناصر الادارة في بونة فمن قراءة التقرير نجد أهم سجلوا انطباعات عن الموظفين الذين احتكوا بهم، ومقدار العمولة التي تدفع لهم أما في يومياتهم فهم يتحدثون عن جشعهم مطامعهم وحبهم للعملات المعدنية.

الملاحق:

ملحق رقم(01): رسالة من الباي إلى آغا عنابة يعلمه بأنه على علم بما يفعله الشاوش



المصدر: الوثيقة رقم06 المجموعة 1642، المكتبة الوطنية. الجزائر.

ملحق(01) مكرر:

"الحمد لله وحده وصلي الله علي سيدنا محمد وسلم حفظ الله تعالي ذات المعظمين المبجلين المكرمين.. أولادنا سي احمد بن حمزة الآغا وكافة الديوان المنصور بالله تعالي بعنابة اكرمهم الله ورعاهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة ورضوانه وبعد بان اهل عنابة شكوا كثيرا من الشاوش يأخذ من الذي عليه ريال دين ريالين واكثر بالباطل وهذه بلاد السلام فلا يمكن تركة على ذلك فلا بد تعلمون يكف نفسه.....ويراجعه راسه من هذا الظلم يكف نفسه ولا بد وأما الكوشة فإن أمرنا المركانتي باصلاحها ....يطيبون الخبز في كوشة البلاد حتي صلحها لكم.... والسلام من المعظم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه. "

قائمة المصادر والمراجع:

1. جميلة معاشي: **الانكشارية والمجتمع بباياليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص51
2. أحمد بن قاسم البوني، **التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي مروان الشريف**، تقديم وتعليق: سعيد دحماني، دار الهدى، عين مليلة، 2001م، ص96.
3. شيدت قصبة عنابة قصبة جبل عابد وحوالي سنة 1300م على يد الحاكم الحفصي أبو زكرياء، فوق أكمة مقابلة للمدينة و مطلة على الناحية الجنوبية على إرتفاع 105م ، سنة 1317 في حولها سور طوله 350م و لم ينته العمل إلا في عهد الفضل ابن أبي يحيا أبي بكر وقد خلق هذا العمل بلوح من الرخام ثبت أعلى مدخل القصبة.
4. شن فرسنان القديس يوحنا هجوما على الجزائر بقيادة سلفيو بيكو لوميني، وكانت حملته هذه تتألف من تسعة غيلوطات وخمس سفن نقل، مع مائتي جندي من المشاة، اضافة إلى العديد من المتطوعين. وقد باشر تحركه من مدينة ليفرون واتجه بقواته إلى مدينة عنابة، ولم يكن حراسها يتجاوز عددهم 250جندياً. للاطلاع أكثر ينظر: مؤلف مجهول، **غزوة الطوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607م**، تعليق: محمد لخضر بوبكر، سعيد دحماني، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر، 2013م، ص25.
5. مؤلف مجهول، **الهدايا الملكية**، ترجمة: سعيد دحماني، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2011م،ص19.
6. المجموعة 3190 الوثيقة رقم 458 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
7. المجموعة 3190 الوثيقة المكتبة الوطنية الحامة.
8. أصل كلمة مركانتي في اللغة الفرنسية Mercanti تعني التاجر الغشاش ويطلق أيضا على التجار والأغنياء، للاطلاع أكثر ينظر: رضا برجم، **يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية**، تقديم: عبد الحميد الارقش، ط1، دار المدار الاسلامي، طربلس، ليبيا، 2010م ، ص225.
9. يقسم رجال الاقتصاد المركنتلية إلى أصناف أهمها: البويونية وتهدف للحصول على الذهب من المستعمرات والمحافظة علية، والصناعية التي انتشرت في فرنسا وهي ترمي للحصول على الذهب بواسطة المصنوعات الأمر الذي يحتم تنمية الصناعة وتطويرها ويدفع إلى البحث عن المستعمرات وسياسة بحرية مدعمة لتسويق المصنوعات. للاطلاع أكثر ينظر: الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1972م، ص 107-108.
10. المجموعة 1903 الوثيقة رقم 14 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
11. سجلات المحاكم الشرعية، العلبة رقم64 الوثيقة 144،الأرشيف الوطني ببير خادم، الجزائر.
12. المجموعة 3205 الملف 03 الوثيقة رقم 23 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
13. الوثيقة نفسها.
14. المجموعة 1642 الوثيقة 17 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
15. علبة الارشيف الوطني 64.بئرخادم، الجزائر.
16. المجموعة 1903 الوثيقة 18 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
17. شريدي سعيد، **تطور وظيفة القايد في الجزائر خلال الفترة العثمانية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر،- قسنطينة- 2005-2006م، ص66
18. جون اندري بيسونال، **رحلة إلى إيالة الجزائر**، ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة، دار الكوكب، الجزائر، 2022، ص56-57.
19. تركي الأصل من عائلة الشرفاء "بن كارالي". اشغل في أواخر الحكم العثماني في منصب " قائد عنابة ".
20. العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 203
21. المجموعة 1641.المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.
22. A,CH,C,M, Série "L "III Article, N°: 1222,1741-1747
23. Capitaine Maitrot ;Bone Militaire 44 siècles de luttes, Araja Editions,2017,p115.

24. قبل إستقرار الأتراك في الجزائر وتونس كل هاته البلاد كانت فيها قبائل عربية مستقلة وعند نهاية القرن الخامس عشر تنازلت قبائل المعزول والنويرة عن أرضها الواقعة على ساحل البحر والتي تمتد من غرب وادي سيبوس قليلا إلى رأس الحمراء شرقا وعلى عمق عشرة فراسخ في الداخل للفرنسيين لقد أقام هؤلاء بعض القلاع والتحصينات لصيد المرجان لم يحدث أي تغيير ذو شأن بعد دخول الأتراك حيث استمر الفرنسيون في استغلال ممتلكاتهم مقابل دفع إتاوة سنوية للإدارة التركية برسم حسن الجوار لقد أخضعت قبيلة المعزول المجاورة التي كانت في حالة حرب مع الأتراك وابرمت صلحا معهم. للاطلاع أكثر ينظر: قنان جمال، **العلاقات بين الجزائر وفرنسا 1790-1830م**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، دت، ص355.

25. صنفه ابن الفكون فمن إدعي الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة ووصفه بقوله: هو من ناحية بلد العناب فيما بينها وبين باجة وهو على طريق تونس في مقربة من خمير والسبعة وأصله من اللصوص وكان كبير المتلصصة، كان لص الظاهر صار لص الباطن والظاهر، ولهذا الرجل حروب ووقائع مع شطر قبيلنه إذا لم تدخل تحت طاعته ويشن الغارات عليهم ويأخذ أموالهم. للاطلاع أكثر ينظر: عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية**، تحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص161- 162.

26. وفي هذا المقام يمكن أن نضيف قبيلة دغوسة التي تقع بالقرب من واد سيبوس وتتكون من العديد من الخيام ونشاطها الرئيسي هو الزراعة. للاطلاع أكثر ينظر: ج.أو.ها بنسترايت: **رحلة العالم الألماني إلى الجزائروتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص78

27. Archives du Ministere des Affaire étrangères, op.cit, N° :54.

28. يقع الحصن الفرنسي أو حصن القالة على شبه جزيرة تتشكل من لسان صخري يتصل بالبر عن طريق معبر ضيق وهذا ما جعله مرسى تجاريا حصين، عرف باسم مرسى الخرز. ويعرف كذلك باسم "الباستيون" Bastion de France يقع علي بعد 48كلم شرق مدينة عنابة وتحيط به الكثبان الرملية المكسوة بالأعشاب و الشجيرات. للاطلاع اكثر ينظر: ج.أو. ها بنسترايت، **رحلة العالم الالماني الي الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس،2008م، ص89-90. للحصن مساحتين واحدة في الشمال اين توجد مخازن القمح والبضائع وكذلك عدد من الغرف الخاصة بالمشرفين على تموين الحصن والاخرى ذو مساحة أكبر متواجدة قرب شاطئ رملي كمناء للسفن الذين يصطادون المرجان، وبالقرب من هذه الساحة: كنيسة، مستشفى، حديقة. للاطلاع أكثر ينظر:

Archives du Ministere des affaire étrangères, Op .cit, N° :146.

29- صرهودة يوسفي، **قبائل بونة وعلاقتها بالسلطة العثمانية، مؤلف جماعي: مقاربات في تاريخ الجزائر العثمانية**، تنسيق محمد أجرتني، ألف للوثائق، قسنطينة، الجزائر،2021م، ص163.

30- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، مرجع سابق،ص202-203

31- ج.أو.ها بنسترايت، رحلة العالم الالماني، مصدر سابق، ص77.

[32]Archives du Ministere des affaire étrangères, op .cit, N° :54

33- المجموعة 3190، الوثيقة 180، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

34- المجموعة 1641 الوثيقة 69. المكتبة الوطنية الحامة. الجزائر.

35- يدفع الفرنسيون المتوجدين في السواحل الشرقية لزمة منطقة مرداس ولزمة وادي السمو وتقدم مرتين في السنة، صيفا وشتاء، يطلق عليها اسم الصيفية والشتوية وتقدر ب:500 ريال. للاطلاع أكثر ينظر: المجموعة 1641 الوثيقة رقم90 -122 المكتبة الوطنية، الحامة. الجزائر.

36-المجموعة 1641، الوثيقة رقم 57 المكتبة الوطنية الحامة. الجزائر.

37- البرج: وردت في الوثائق أكثر من مرة والمقصود بها محل إقامة الفرنسين أي الحص.

38- المجموعة 1641،الوثيقة رقم 44 المكتبة الوطنية الحامة. الجزائر.

39- المجموعة 3205 الملف 03 الوثيقة رقم 23 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

40- العلبة 64 الأرشيف الوطني ببير خادم، الجزائر.

41- المجموعة 1903، الوثيقة 44، المكتبة الوطنية بالحامة.

42- ذكر فاغنز وهو رحالة ألماني أن عدد الجاليات الأوروبية المتواجدة في فترة وجوده أي سنة 1839م وصل إلى 3111 من بينهم 1120 من الفرنسيين و1209 من المالطيين 524 إيطاليين و 212 إسبانيين و 122 من الألمانيين و5 من اليونانيين. للاطلاع أكثر ينظر: أبو العيد دودو، "عنابة في نظر الرحالين الألمان"، **مجلة الأصالة**، ع34 ،1976 م، ص200 .

43- العلبة 64 الارشيف الوطني ببير خادم. الجزائر.

44- المجموعة 3205 الملف 03 الوثيقة رقم 23 المكتبة الوطنية الحامة. الجزائر.

45- الوثيقة نفسها.

46- المجموعة نفسها، الوثيقة 108.

47- Archives du Ministere des Affaires étrangères, Op. cit, N° : 43.

48- المعاهدة المقصودة في هذه الشكوى هي معاهدة 11 مارس 1679م، حيث نص البند السادس منها على: " لا يدفع لمدينة بونة أي رسم على الدخول والخروج..." كما تجدد ذكر هذا البند في معاهدة 23 أفريل 1684م تحت نفس الرقم. للاطلاع أكثر ينظر: قنان جمال، **معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830م**،دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص340-351.

49 - A,CH,C,M, Série "L "III Article ,N°: 1207,1762-1763 .

50 -A,CH,C,M, Série "L "III Article,N°: 1207,1762-1763.

51 - A,CH,C,M, Série "L "III Article,N°: 1207,1762-1763.

52 -Ibid.

53 -Ibid.

54 - Ibid.

55- الوثيقة رقم06 المجموعة 1642، المكتبة الوطنية. الجزائر.